Mauriduna Journal of Islamic Studies
E-ISSN : 2792-0876
Open Acces
Mauriduna: Journal of Islamic Studies, Vol. 6, No. 3, 2025 Page 574-598
DOI: 10.37274/mauriduna.v6i3.75
http://ejournal.arraayah.ac.id

The Approach of Sheikh Ibn Uthaymeen in Responding to Specious Arguments through the Interpretation of Surah Al-Baqarah: An Analytical Study

منهج الشيخ ابن عثيمين في الرد على الشبهات من خلال تفسير سورة البقرة: دراسة تحليلية

Sameer Mahoob Saleh Qassem[1]
[1] University of the Holy Qur'an and Islamic Science, Sudan
E-mail: sameerms2140@gmail.com[1]

Submission: 28-05-2025	*Revised: 29-06-2025*	*Accepted: 30-07-2025*	*Published: 28-08-2025*

Abstract

Starting from the researcher's interest in the interpretation of the Quran and in refuting the doubts raised about it, the researcher decided to address a topic related to refuting the doubts found in the interpretation of Surah Al-Baqarah, relying on the methodology adopted by Imam Ibn Uthaymin in his works. The choice of this topic is due to its great importance in clarifying the scientific method of dealing with theological and intellectual doubts facing the contemporary Muslim, as well as the scholarly, critical, and precise dimensions found in Ibn Uthaymin's interpretation. The researcher aims to highlight Ibn Uthaymin's efforts in refuting doubts, analyzing their content, clarifying the methods of response he employed, and examining how consistent they are with the Salafi methodology in exegesis. The researcher relied on the analytical inductive approach in dealing with the topic, collecting the passages related to doubts from the interpretation of Surah Al-Baqarah, analyzing them, and extracting the principles and methods used in addressing them. Among the most significant findings reached by the researcher is that Ibn Uthaymin's approach — may Allah have mercy on him — was characterized by a balance between scholarly precision and clarity in presentation, making his refutation of doubts a scientific model that can be utilized in the fields of Quranic exegesis, creed, and Islamic preaching.

Keywords: Methodology, Ibn Uthaymin, Doubts, Exegesis of Surah Al-Baqarah.

ملخص البحث

انطلاقا من اهتمام الباحث بتفسير القرآن الكريم ورد الشبهات المثارة حوله، رأى الباحث أن يتناول موضوعا يتصل برد الشبهات الواردة في تفسير سورة البقرة، مستند في ذلك إلى المنهج الذي سلكه الإمام ابن عثيمين في مؤلفاته، وقد جاء اختيار هذا الموضوع لما له من أهمية بالغة في بيان المنهج العلمي في التعامل مع الشبهات العقدية والفكرية التي تواجه المسلم المعاصر، وكذلك لما يحمله تفسير ابن عثيمين من أبعاد نقدية علمية وعقدية دقيقة. يهدف الباحث إلى إبراز جهود ابن عثيمين في رد الشبهات، مع تحليل مضامينها وبيان أساليب الرد التي اتبعها، ومدى اتساقها مع

© 2025 by the authors; This is an Open Access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution- ShareAlike 4.0 International License. (https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided the original work is properly cited.

المنهج السلفي في التفسير، وقد اعتمد الباحث في معالجة الموضوع على المنهج التحليلي الاستقرائي، حيث قام بجمع المواضع المتعلقة بالشبهات من تفسير سورة البقرة، ثم تحليلها واستنباط القواعد والأساليب المعتمدة في الرد عليها. ومن أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث أن أسلوب بين عثيمين– رحمه الله– تميز بالتوازن بين الدقة العلمية والوضوح في الطرح، مما يجعل رده على الشبهات نموذجا علميًا يمكن الإفادة منه في مجالات التفسير والعقيدة والدعوة.

الكلمات المفتاحية: منهج، ابن عثيمين، الشبهات، تفسير سورة البقرة

المقدمة

وقد لفت منهج ابن عثيمين المتميز في رد الشبهات انتباه الباحث ليتخذ منه موضوعًا لبحث ترقية مختارًا من كتبه (تفسير القرآن)، ومنه بالتحديد تفسير سورة البقرة. ويكتسب البحث في هذا الموضوع أهميته من الآتي: تعلق الموضوع برد الشبهات التي أسهمت في انحراف شريحة واسعة من جهلة المسلمين، ورغبة الباحث الجادة في دراسة استشرافية لمنهج ابن عثيمين في رد الشبهات وتعامله مع الإيرادات المشكلة؛ ليستفيد منها أهل الاختصاص، وجدة الموضوع؛ إذ خلت الدراسات المتخصصة بعد البحث الجاد من تناول الشبهات ورد ابن عثيمين لها من خلال سورة البقرة، والتحقق من مكانة أحد أعلام النحو العربي، والقيمة العلمية لشرحه، والكشف عن أسرار في طياته، ودقائق تعزب عن الأفهام، ومعالجة عدد من الشبهات المطروحة في الساحة من خلال تقديم مساهمة أحد العلماء الأفذاذ في ردها.

تتلخص أهداف البحث في الآتي: تفنيد الشبهات التي يثيرها المبطلون من باب معرفة الشر لا للشر لكن لتوقيه، وبيان منهج ابن عثيمين في الرد على الشبهات والقيمة ومميزاته، والكشف عن أنواع الشبهات التي تناولها ابن عثيمين في تفسير سورة البقرة، واستخلاصُ قواعد كلية وضوابط عامة في الرد على الشبهات من خلال تفسيره لسورة البقرة. والشبهة في اللغة تعني: الالتباس(الرازي، ١٩٩٩،ص:١٦١)، واشتبهت الأمور وتشابهت التبست فلم تتميز ولم تظهر ومنه اشتبهت القبلة ونحوها، والشبهة في العقيدة المأخذ الملبس سميت شبهة لأنها تشبه الحق (الفيومي،(٣٠٣/١).إن الشّبهة اسم من الاشتباه، وهي ما بين الحلال والحرام والخطاء والصّواب(التهانوي،١٩٩٦م،(١٠٠٥/١).

إن الحديث عن تفنيد الشبهات والرد عليها، ليس بالموضوع الجديد، فهو قديم حديث بنفس الوقت، فمنذ نزول القرآن الكريم على النبي- صلى الله عليه وسلم- والشبهات تثار حول الإسلام عموما، وحول القرآن الكريم خصوصا، وقد ذكر القرآن الكريم ما أثاره الكفار من شبهات حول الرسالة الإسلامية. ورد عليهم بالحجة والبرهان، واليوم تتجدد هذه الشبهات تحت مسميات عديدة منها الحداثة وما بعد الحداثة، فتأتي أهمية التعرف على المنهجيات السليمة في رد هذه الشبهات، ومنها الحديث عن مناهج العلماء المحدثين مثل الإمام ابن عثيمين- رحمه الله- ولعل من أهم أسباب اختيار الموضوع: المساهمة في حماية العقيدة الإسلامية وإزالة اللبس عند بعض المسلمين، وبيان وجوه الاعجاز القرآني، والتعرف على الأساليب الصحيحة في الرد على الشبهات والجمع بين النقل والعقل.

وتتلخص مشكلة البحث في الإجابة عن الأسئلة الآتية: [١] ما مميزات منهج ابن عثيمين في رد الشبهات؟ وما القيمة العلمية لردوده؟ [٢] ما أبرز المعالم المنهجية في رد ابن عثيمين للشبهات؟ [٣] ما أنواع الشبهات التي تناولها ابن عثيمين في رده؟ وما مقدارها في تفسيره سورة البقرة؟ لم يألُ الباحثُ جهدًا في البحث عن دراساتٍ سابقة لمنهج ابن عثيمين في رد الشبهات في سورة البقرة، وبعد التحري والتقصّي، لم يقفِ الباحثُ -حسب اطلاعِه- على دراسة خاصة في الموضوع. يقتصر هذا البحث كما يفهم من عنوانه على دراسة منهج الشيخ ابن عثيمين في تفسيره سورة البقرة دون غيرها من السور، ولا تتعرض لبقية كتبه إلا على سبيل الاستشهاد والتبع.

منهج البحث

يعتمد هذا البحث على التصميم الوصفي التحليلي، حيث يتم تحليل منهج الشيخ ابن عثيمين في الرد على الشبهات من خلال تفسيره لسورة البقرة، وذلك بدراسة نصوصه وتحليلها وفق منهج علمي دقيق. وتتمحور المقاربة البحثية حول المقاربة النوعية، حيث يتم التركيز على دراسة المحتوى وفهمه وتحليله دون الاعتماد على الإحصائيات أو البيانات الكمية. ويعتمد البحث على المنهج التحليلي النقدي، من خلال تحليل أقوال الشيخ ابن عثيمين، واستنباط الأسس المنهجية التي اعتمدها في ردوده على الشبهات، إضافةً إلى نقد بعض الأساليب التي استخدمها في تفنيد الادعاءات الباطلة.

تعتمد الدراسة على أدوات البحث المكتبي، من خلال جمع البيانات من كتب الشيخ ابن عثيمين، وتفاسيره، ومؤلفاته، بالإضافة إلى الدراسات السابقة التي تناولت موضوع رد الشبهات. ويتم جمع البيانات من خلال المصادر

الأولية، والتي تشمل كتب الشيخ ابن عثيمين، وخاصة تفسيره لسورة البقرة، وكذلك المصادر الثانوية التي تتضمن الدراسات السابقة، والمقالات العلمية، والبحوث الأكاديمية التي تناولت الموضوع ذاته.

يتم تحليل البيانات باستخدام المنهج الاستقرائي، حيث يتم تتبع آراء الشيخ ابن عثيمين في مواضع متعددة من تفسيره، ثم استخراج القواعد المنهجية التي اعتمدها في تفنيد الشبهات. كما يتم استخدام المنهج المقارن لمقارنة أساليبه بأساليب علماء آخرين في نفس المجال. وللتحقق من صحة البيانات ومصداقيتها، يتم مقارنة أقوال الشيخ ابن عثيمين بمصادر أخرى موثوقة، والرجوع إلى أمهات كتب التفسير والرد على الشبهات، والتثبت من صحة المعلومات من خلال مراجعة البحوث الأكاديمية المتخصصة. وبذلك، يسعى البحث إلى تقديم دراسة علمية موثوقة ودقيقة حول منهج الشيخ ابن عثيمين في الرد على الشبهات، من خلال تفسيره لسورة البقرة.

النتائج والمناقشة

جهود العلامة ابن عثيمين في الرد على الشبهات، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية الرد على الشبهات

لا يدخر أعداء الإسلام جهدًا في إثارة الافتراءات وبث الشبهات حول الإسلام العظيم، وهم يعملون عملًا منظمًا، ويمكرون مكرًا كبارًا من خلال دراساتٍ وخططٍ وتجاربَ وبحوث، حتى صار الافتراء على الإسلام علمًا يُدرّس في كليات اللاهوت ومراكز التنصير، وعلى مستوى الفرق المنتسبة للإسلام لا تزال الشبهات تثار ويتجدد ما تقادم منها.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله من فتنة المحيا يقول ابن عثيمين في تفسيرها مبينا خطر الشبهات: "فتنةُ المحيا تدور على شيئينِ: شُبُهات، وشَهَوات؛ إما شُبُهات تَعرِض للإنسان فيلتبس عليه الحقُّ بالباطلِ فيَرى الباطلَ حقًّا والحقَّ باطلًا، وإذا رأى الحقَّ باطلًا تجنَّبه، وإذا رأى الباطلَ حقًّا فَعَلَهُ، وهذه فتنةٌ عظيمةٌ؛ ما أكثرَ الذين يَرَوْنَ الرِّبا حقًّا فينتهكون! ما أكثرَ الذين يَرَونَ غِشَّ النَّاسِ شطارةً وجَودةً في البيع والشراء فيغشُّون! هذه فتنة، ما أكثرَ الذي يرى النَّظَرَ إلى النساءِ تلذُّذًا وتمتُّعًا وحريَّةً فيُطْلق نفْسَه في النظر إلى النساء! بلْ ما أكثرَ الذي يشربُ الخمرَ ويراه لذَّةً وطربًا! وما أكثرَ الذين يَرَوْنَ آلات اللَّهو والمعازفَ فنًّا يُدرَسُ ويُعطى عليه شهادات ومراتب، كلُّ هذا من فتنةِ المحيا؛ إمَّا شُبْهةٌ تَعرِض للإنسان ولا يعرفُ الحقَّ من الباطلِ، وإمَّا شهوةٌ – والعياذُ بالله– وهي

أَشَدُّ، شهوة؛ يعرفُ الحقَّ ولكنْ لا يتَّبعه، ويعرفُ الباطلَ ولكنْ ينتهكُه ولا يُبالي به، هذه فتنةٌ عظيمةٌ ما أكثرَ مَن فُتِنَ بها، ولهذا يُشرَع للإنسانِ أنْ يستعيذ بالله من فتنةِ المحيا" (العثيمين، الشرح الصوتي لزاد المستقنع، ج١، ص١٢٨٨.).

ومن هذا المنطلق حماية لثوابت الإسلام، وحفاظًا على أبنائه من الزيغ كان لا بد من التصدي لرد مختلف الشبه والافتراءات، فمن أجل خطورتها حذر الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرا من الشبهات في نوع من التربية الوقائية، فقد روى الإمام أحمد بسند صحيح من حديث عمران ابن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتحدث عن الدجال قال: "من سَمِعَ بالدَّجَال فلينأ عنهُ، فوالله إن الرَّجُل ليأتيهِ وهو يحسِبُ أنه مؤمن، فيتبعه مما يبعث فيه من الشبهات) (السجستاني، ١٤٣٠ هـ ، ج٦، ص٣٧٣.).

ولذلك اعتبر بعض السلف درء الشبهات نوع من الجهاد في سبيل الله، فعن يحيى بن يحيى النيسابوري قال: "الذب عن السُّنة – يعني من الشبهات – أفضل من الجهاد في سبيل الله" (الهروي، ١٤١٩هـ ، ج٤، ص٢٥٣.)، فالمجاهد يحمي دماء المسلمين، ودافعُ الشبهة يحرس أرواح وعقول الموحدين.

يقول الشيخ ابن عثيمين عن أهمية رد الشبهات: "وطلب العلم في الوقت الحاضر من أهم المهمات لكثرة الفتن من شبهات وشهوات، فإذا لم يكن عند الأمة الإسلامية علماء يحفظونها ويحسنونها ويدافعون عنها فربما تهلك كما هلكت الأمم" (العثيمين، ١٤٢١هـ ، ٨٤، ص٢٤.).

وقد أكد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على هذا المعنى بقوله: "فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفَّى بموجب العلم والإيمان، ولا حصّل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين" (ابن تيمية الحراني، ١٤١١ هـ ، ص٣٥٧.).

وقد "اقتضت الحكمة أنْ لا تكون الشبهات غالبة حتى لا توقع الناس كلهم في الكفر، بل اقتضت أن تكون هناك بينات وشبهات، فمن جرى مع فطرته وآثر مقتضاها وتفقد مسالك الهوى فاحترس منها تتجلى له البينات وتتضاءل عنده الشبهات، ومن أَتبع الهوى وآثر الحياة الدنيا تبرقعت دونه البينات واستهوته الشبهات" (المعلمي اليماني، ١٤٣٤هـ، ج١٠، ص١٨) .

وهذا الشيخ ابن عثيمين موضع الدراسة لتفسيره سورة البقرة يقول عن أهمية رد الشبهات في معرض حديثه عن فوائد محاجة إبراهيم للذي كفر:

٣- منها: "أن المحاجة لإبطال الباطل، ولإحقاق الحق من مقامات الرسل؛ لقوله تعالى: اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِيْ حَآجَّ اِبْرٰهٖمَ فِيْ رَبِّهٖٓ اَنْ اٰتٰىهُ اللّٰهُ الْمُلْكَۘ اِذْ قَالَ اِبْرٰهٖمُ رَبِّيَ الَّذِيْ يُحْيٖ وَيُمِيْتُۙ قَالَ اَنَا۠ اُحْيٖ وَاُمِيْتُۗ قَالَ اِبْرٰهٖمُ فَاِنَّ اللّٰهَ يَأْتِيْ بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِيْ كَفَرَۗ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظّٰلِمِيْنَۚ[البقرة: ٢٥٨].

٤ - ومنها: الإشارة إلى أنه ينبغي للإنسان أن يتعلم طرق المناظرة، والمحاجة؛ لأنها سُلَّم، ووسيلة لإحقاق الحق، وإبطال الباطل؛ ومن طالع كتب شيخ الإسلام ونحوها تعلَّم المناظرة - ولو لم يدرسها فناً" (العثيمين، (١٤٢٣هـ ، ج٣، ص٢٨١.).

المطلب الثاني: أنواع الشبهات التي تناولها العلامة ابن عثيمين:

تناولت سورة البقرة عددً من المواضيع وناقشت الآيات عددًا من المقالات وقائليها، بل أوائل الآيات فيها تحدثت عن تقسيم الناس إلى مؤمنين ومنافقين وكفار مع تعرض لبعض معتقداتهم، والشيخ ابن عثيمين رحمه الله بحكم كونه مفسرًا يتناول ذلك بشيء من البيان والتفصيل ومناقشة المعتقدات والرد على الشبهات وإن لم يصرح في الأغلب بكونها شبهات.

وتبعًا لذلك فقد رد على الكفرة والملحدين، وأهل الكتاب، والفلاسفة، والمتكلمين بأصنافهم من أشاعرة وماتريدية ومعتزلة وجهمية، كما تناول في الرد الباطنية والشيعة الاثني عشرية، وشملت ردوده أيضًا علماء الهيئة والمتكلفين من دعاة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

وتعرض للرد على عدد من الانحرافات العصرية الحادثة، والشبهات على مختلف أنواعها التي يبثها الجهلة ومن لا خلاق له متشابهة وإن اختلف القائلون بها أو زمن قولها. يقول الشيخ رحمه الله: "ومن فوائد الآية: أن أقوال أهل الباطل تتشابه؛ لقوله تعالى: وَقَالَ الَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللّٰهُ اَوْ تَأْتِيْنَآ اٰيَةٌۗ كَذٰلِكَ قَالَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِّثْلَ قَوْلِهِمْۘ تَشَابَهَتْ قُلُوْبُهُمْۗ قَدْ بَيَّنَّا الْاٰيٰتِ لِقَوْمٍ يُّوْقِنُوْنَ[البقرة: ١١٨]، وقوله تعالى:كَذٰلِكَ مَآ اَتَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ رَّسُوْلٍ اِلَّا قَالُوْا سَاحِرٌ اَوْ مَجْنُوْنٌ ﴿٥٢﴾ اَتَوَاصَوْا بِهٖۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُوْنَۚ ﴿٥٣﴾[الذاريات: ٥٢، ٥٣]، وأنت لو تأملت الدعاوى الباطلة التي رد بها المشركون رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم من زمنه إلى اليوم لوجدت أنها متشابهة، كما قال تعالى: وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ [المطففين: ٣٢]، واليوم يقولون للمتمسكين بالقرآن، والسنة هؤلاء رجعيون؛ هؤلاء دراويش لا يعرفون شيئاً" (العثيمين، ١٤٢٣هـ ، ج٢، ص٢٤.).

ولما كان في القرآن الكريم ما يوهم التعارض ويورث شبهًا عند بعض الناس فإن الشيخ كثيرًا ما يتولى الجمع بين هذا النوع من الآيات. وستأتي بعض النماذج والأمثلة على ما تقدم في المطلب الأول والمطلب الثاني من المبحث الثاني.

منهج العلامة ابن عثيمين في الرد على الشبهات:

المطلب الأول: معالم منهج ابن عثيمين في الرد على الشبهات:

أ – ترك الجدل والدعوة إليه:

يقرر الشيخ ابن عثيمين رحمه الله أن الأصل ترك الجدل – لغير مصلحة شرعية– مع مثيري الشبهات. يقول رحمه الله: "ومنها: تحريم الجدال؛ لقوله تعالى: اَلْحَجُّ اَشْهُرٌ مَّعْلُوْمٰتٌ ۚ فَمَنْ فَرَضَ فِيْهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوْقَ وَلَا جِدَالَ فِى الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوْا مِنْ خَيْرٍ يَّعْلَمْهُ اللّٰهُ ۗ وَتَزَوَّدُوْا فَاِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوٰى ۚ وَاتَّقُوْنِ يٰٓاُولِى الْاَلْبَابِ. [البقرة: ١٩٧]، والجدال إن كان لإثبات الحق، أو لإبطال الباطل فإنه واجب، وعلى هذا فيكون مستثنًى من هذا العموم؛ لقوله تعالى: اُدْعُ اِلٰى سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِيْ هِيَ اَحْسَنُ ۗ اِنَّ رَبَّكَ هُوَ اَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيْلِهٖ ۖ وَهُوَ اَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِيْنَ [النحل: ١٢٥]، وأما الجدال لغير هذا الغرض فإنه محرم حال الإحرام؛ فإن قلت: أليس محرماً في هذا، وفي غيره لما يترتب عليه من العداوة، والبغضاء، وتشويش الفكر؟ فالجواب: أنه في حال الإحرام أوكد" (العثيمين، ١٤٢٣هـ ، ج٢، ٤١٨.).

ويقرر أن في الجدل حرمان بركة العلم فيقول: "الخصومات في الغالب لا يكون فيها بركة؛ وقد ثبت في صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم» (البخاري، ١٩٩٨م حديث رقم ٢٤٥٧، ص١٩٣.، النيسابوري، ١٩٩٨م ، حديث رقم ٦٧٨٠، ص١١٤٢.) أي الإنسان المخاصم المجادل بالباطل ليدحض به الحق؛ وما من إنسان في الغالب أعطي الجدل إلا حرم بركة العلم؛ لأن غالب من أوتي الجدل يريد بذلك نصرة قوله فقط؛ وبذلك يحرم بركة العلم؛ أما من أراد الحق فإن الحق سهل قريب لا يحتاج إلى مجادلات كبيرة؛ لأنه واضح؛ ولذلك تجد أهل البدع الذين يخاصمون في بدعهم علومهم ناقصة البركة لا خير فيها؛ وتجد أنهم يخاصمون، ويجادلون، وينتهون إلى لا شيء؛ لا ينتهون إلى الحق؛ لأنهم لم يقصدوا إلا أن ينصروا ما هم عليه؛ فكل إنسان جادل من أجل أن ينتصر قوله فإن الغالب أنه لا يوفق، ولا يجد

بركة العلم؛ وأما من جادل ليصل إلى العلم، ولإثبات الحق، وإبطال الباطل فإن هذا مأمور به؛ لقوله تعالى: أُدْعُ اِلٰى سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِيْ هِيَ اَحْسَنُۗ اِنَّ رَبَّكَ هُوَ اَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيْلِهٖ وَهُوَ اَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِيْنَ [النحل: ١٢٥]" (العثيمين، ١٤٢٣هـ ، ج٢، ص٤٤٤ – ٤٤٥).

ب – الدعوة إلى التسلح بالعلم والتقوى أولًا:

قال الإمام البخاري في صحيحه: باب: العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى فَاعْلَمْ اَنَّهٗ لَآ اِلٰهَ اِلَّا اللّٰهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنٰتِۗ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوٰىكُمْ [محمد: ١٩] فبدأ بالعلم (البخاري، صحيح البخاري، ص٢٤ – ٢٥).

فالتسلح بسلاح العلم والتقوى مهم للسلامة من تشرب الشبهات ولدفعها للمتصدي لدفعها، فالشبهة إنما تتمكن من قلبٍ ضعيف وعقلٍ فارغ خفيف، ولقد أوصى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تلميذه ابن القيم بما لخصه ابن القيم بقوله: "وقال لي شيخ الاسلام رضي الله عنه – أي: ابن تيمية– وقد جعلت أُورد عليه إيراداً بعد إيراد: لا تجعل قلبَك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة فيتشربها فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها، فيراها بصفائه، ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليها: صار مقرّاً للشبهات، أو كما قال، فما أعلم أني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك".

فيجب على من يريد التصدي لرد الشبهات أن يتزود بالعلم ومعرفة أحكام الإسلام وشرائعه قبل الدخول في معترك الشبهات والردود عليها حتى لا يقع في شركها. يقول الشيخ: "وإذا كان هذا أعني تزود الداعية بالعلم الصحيح المبني على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلّم، هو مدلول النصوص الشرعية فإنه كذلك مدلول العقول الصريحة التي ليس فيها شبهات ولا شهوات، لأنك كيف تدعو إلى الله ـ عز وجل ـ وأنت لا تعلم الطريق الموصل إليه، لا تعلم شريعته كيف يصح أن تكون داعية؟!

فإذا لم يكن الإنسان ذا علم فإن الأولى به أن يتعلم أولاً، ثم يدعو ثانياً" (العثيمين، ١٤١٢هـ ، ص١٣.).

ويقول ناصحا من يرغب في قراءة كتب النصارى قبل يأخذ حظا كافيًا من العلم: "أرى أنه لا يجوز للإنسان أن يقرأ كتاباً مضلاً من كتب اليهود، أو النصارى، أو المشركين، أو أهل البدع؛ إلا إذا كان عنده رصيد قوي يمكن أن يتحصن به، وأما إذا كان مبتدئاً في القراءة فلا يجوز له أن يبدأ بقراءة هذه الكتب الباطلة؛ لأنه ربما تأثر بما فيها من الباطل.

فهؤلاء ننصحهم بأن يتركوا هذه الكتب، حتى يحصنوا أنفسهم بالعلوم الشرعية الصحيحة قبل أن يدخلوا في هذه الكتب المضلة، فالإنسان إذا أراد أن يتحصن من السيل أخذ في بناء السدود والمصارف قبل مجيء السيل، لا يفعل ذلك بعد مجيئه، فنقول: أولاً حصنوا أنفسكم بمعرفة الشريعة، واغرسوها في قلوبكم حتى إذا تمكنتم فلا بأس أن تقرؤوا لتردوا على شبهات القوم وأباطيلهم" (العثيمين، ١٤٢١هـ ، رقم٤٧، ص ١٤، بترقيم الشاملة آليا.).

وينصح كثيرًا من يسافر إلى بلاد الكفر بالتسلح بالعلم الذي يدفع به الشبهات، والتقوى التي يدفع بها الشهوات، ففي فتاوى نور على الدرب:

هل يجوز السفر للبلاد الكافرة والعمل بها في الأعمال المباحة مع المحافظة على العقيدة؟

فأجاب رحمه الله تعالى: لا شك أن الذي يسافر إلى هذه البلاد مخاطر بدينه؛ لأنها بلاد كفر، والمرء إذا عاش في بيئة فإنه يتأثر بها إلا من عصم الله. قال النبي صلى الله عليه وسلم «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» (البخاري، ١٩٩٨م ، ص٤١٦، النيسابوري، ١٩٩٨م ، ص٢٠٤٧.)، وكيف تطيب نفس مؤمن أن يعيش في بلاد لا يسمع إلا أجراس النواقيس وأصوات الأبواق! ولا يسمع فيها قول الله أكبر حي على الصلاة، المؤمن ينبغي له أن يبتعد مهما أمكن عن بلاد الكفر، ولكن إذا دعت الحاجة إلى ذلك وكان عنده علم يدفع به شبهات المنصرين وكان عنده عبادة تمنعه من الزيغ والميل بهذه الشروط الثلاثة نرى أنه لا بأس أن يسافر إلى الخارج" (العثيمين، فتاوى نور على الدرب، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، ج٤، ص٢، بترقيم الشاملة آليا.).

وفي هذا يقول العلامة ابن عاشور: "يجبُ أن يكون المتصدَّيِ للردِّ على الشُّبهات ذا علمٍ واطِّلاعٍ وحكمة، قال تعالى:﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال عز وجل:﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، فالجاهلُ قليلُ الاطِّلاع قد يفسدُ أكثرَ ممَّا يُصلح، وكذلك ضعيفُ الحجّة، فالردُّ على الشبهات تستلزم من المتصديّ لها أن يكونَ عالماً بالشبهة وقادراً على ردِّها وتفنيدها بما

آتاه الله من العلمِ والحكمة، حتى تتجلَّى الغاية والفائدة المرجوّة من الردِّ على الشبهات، وهو إظهار الحق وتمييزه من الباطل الذي التبس به واختلط فيه".(العتيق، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م ، ص٥٦).

ويؤكد موضوع الاهتمام بالعلم أن أكثر الشبهات منشؤها الجهل كما قال ابن عثيمين في كلام بديع: "وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر"، "فتنة الدنيا" تقدم لنا معناها وهي تعود على أمرين: إما شبهات، وإما شهوات، الشبهات معناها: أن الإنسان يخفى عليه الحق إما بكثرة البدع والأفكار السيئة، أو لغير ذلك من الأسباب، فتجده يكون حيوانًا- والعياذ بالله- لا يدري أين يذهب، وإما شهوة يكون عارفًا بالحق عالمًا به لكنه تريده نفسه تريد وتهوى خلاف الحق.

النصارى فتنتهم شبهة أم شهوة؟ الآن شهوة، ولكن فيما سبق قبل بعثة الرسول- عليه الصلاة والسلام- كانت شبهة؛ لأنهم ضالون، واليهود شهوة؛ لأنهم عالمون بالحق.

وكل من خالف الحق عالمًا به فقد فتن فتنة شهوة- والعياذ بالله-، وكل من خالف الحق جاهلًا به، فقد فتن شبهة. كثير من الناس الآن فتنوا في الدنيا فتنة شهوة يعلمون ما أوجبه الله عليهم، ولا أظن أن الناس في عصرٍ من العصور المتأخرة كانوا أعلم بالمسائل الشرعية من عصرنا هذا، لكن- والعياذ بالله- صار عندهم شهوات ميل إلى الباطل" (العثيمين، ١٤٢٧هـ ، ج٢، ص١٧٩.).

ج- الإعراض عما لا يستحق الرد من الشبهات:

يقول عند قول الله عز وجل:﴿ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤٢ ﴾ [البقرة: ٤٢]: "من فوائد الآية: وجوب بيان الحق، وتمييزه عن الباطل؛ فيقال: هذا حق، وهذا باطل؛ لقوله تعالى: (ولا تلبسوا الحق بالباطل)، ومن لبْس الحق بالباطل: أولئك القوم الذين يوردون الشبهات إما على القرآن، أو على أحكام القرآن، ثم يزيلون الإشكال. مع أن إيراد الشبه إذا لم تكن قريبة لا ينبغي. ولو أزيلت هذه الشبهة؛ فإن الشيطان إذا أوقع الشبهة في القلب فقد تستقر فيه. وإن ذكِر ما يزيلها" (العثيمين، ١٤٢٣هـ ، ج١، ص١٥٢ – ١٥٣).

ومن دواعي الإعراض عن المجادلة عنده تقريره: "أنه لا حجة لمن تولى عن شريعة النبي صلى الله عليه وسلم إلا الشقاق، والمجادلة بالباطل؛ لقوله تعالى:﴿ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا

هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٧]" (العثيمين، ١٤٢٣هـ ، ج٢، ص٩٤.).

ومن أمثلة هذا النوع ما حكاه الشيخ من اعتقاد بعض المتكلمين أن الله سبحانه لا يوصف بعلو ولا غيره. يقول: "قالوا: إنه لا يوصف بعلوّ، ولا غيره؛ فهو ليس فوق العالم، ولا تحته، ولا عن يمين، ولا عن شمال، ولا متصل، ولا منفصل؛ وهذا قول يكفي تصوره في رده؛ لأنه يَؤول إلى القول بالعدم المحض؛ إذ ما من موجود إلا وهو فوق، أو تحت، أو عن يمين، أو شمال، أو متصل، أو منفصل؛ فالحمد لله الذي هدانا للحق؛ ونسأل الله أن يثبتنا عليه" (العثيمين، ١٤٢٣هـ ، ج٣، ص٢٦٢ – ٢٦٣.).

ومن ذلك ما ذكره الشيخ في شرحه للعقيدة السفارينية عن الإيمان بالصفات، فقد قال: "وغاية ما عندنا نحن أن ندرك المعنى، أما الحقيقة والكيفية فهذا شيء لا يمكن إدراكه، ولهذا يحرم على الإنسان أن يتخيل أو أن يتصور شيئا من صفات الله عز وجل، فلا يجوز أن تتصور أو تتخيل يد الله كيف هي مثلا، ولهذا سألني سائل ذات مرة فقال: ما تقول في أصابع الله؟ كم هي؟ أعوذ بالله. فقلت: هل أحد يسأل هذا السؤال؟! يا أخي اتق ربك، أنت لست ملزما بهذا، أثبت أن لله أصابع كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام، وأما كم فلا يمكن لك أن تتكلم بهذا.

فوالله ما أنت بأحرص على العلم بالله من الصحابة رضي الله عنهم، والصحابة رضي الله عنهم لما قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «إن الله يجعل السماوات على إصبع والأرضين على إصبع» (البخاري، ١٩٩٨م ، ج٣، ص٢٨٥، النيسابوري، ١٩٩٨م ، ج٣، ص٢٨٥). إلى آخر الحديث، ما قالوا: يا رسول الله هل لله أكثر من هذه الأصابع؛ لأنهم أكمل أدبا، وأشد تعظيما لله ممن أتى بعدهم، وإذا كنت صادقا في عبادة الله فلا تتجاوز ما أخبر الله به عن نفسه، كما إنك لا تتجاوز ما شرعه الله لعباده، فلو أردت أن تصلي الظهر خمسا لقال لك الناس كلهم هذا خطأ، إذاً لا تتكلم فيما أخبر الله به عن نفسه، أو أخبر به عنه رسوله صلى الله عليه وسلم ألا بمقدار ما بلغك فقط.

وأنت إذا سلكت هذا – والله – تسلم من أمور كثيرة؛ تسلم من شبهات يوردها الشيطان على قلبك، ومن شبهات يوردها عليك غيرك" (العثيمين، ١٤٢٦ هـ ، ص٢٩ – ٣٠.).

ومن دعوة الشيخ للتسليم لظواهر النصوص وعدم الانشغال بالإيرادات والاحتمالات قوله: "اترك الإيرادات وامش على الظاهر فهو الأصل، ولهذا اقرؤوا الآن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة والأحاديث تجدون المسألة على ظاهرها.

لما حدث النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة بأن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير. قالوا: يا رسول الله كيف ينزل؟ وهل السماء تسعه؟ وهل يخلو من العرش؟ هل قالوا هكذا؟! أبدا.

لما حدثهم أن الموت يؤتى به يوم القيامة على صورة كبش، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت، ثم يذبح بين الجنة والنار. قالوا: كيف يكون الموت كبشا؟ ما قالوا هذا!!

لذلك أنصح نفسي وإياكم ألا توردوا هذا على أنفسكم، لا سيما في أمور الغيب المحضة؛ لأن العقل يحار فيها، ما يدركها، فدعها على ظاهرها ولا تتكلم فيها.

قل سمعنا وآمنا وصدقنا، وما وراءنا أعظم مما نتخيل. فهذا مما ينبغي لطالب العلم أن يسلكه" (العثيمين، ١٤٣٤هـ ، ص١٩٥.).

وقد قال سفيان الثوري رحمه الله: "من سمع ببدعة فلا يحكها لجلسائه، لا يلقها في قلوبهم".

فعلَّق عليه الذهبي بقوله: "قلت: أكثر أئمة السلف على هذا التحذير، يرون أن القلوب ضعيفة، والشُّبَه خطَّافة". (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٤٠٥هـ ج٧، ص٢٦١.)

وإن من دواعي الإعراض عن تتبع المتشابه: أن يعلم الإنسان أنه ممتحن بها، فقد اقتضت حكمة الله أن جعل من القرآن آيات محكمات، يرجع إليهن عند التشابه، وأُخر متشابهات امتحاناً للعباد؛ ليتبين صادق الإيمان ممن في قلبه زيغ، فإن صادق الإيمان يعلم أن القرآن كله من عند الله تعالى، وما كان من عند الله فهو حق، ولا يمكن أن يكون فيه باطل، أو تناقض لقوله تعالى:﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾ [فصلت: ٤٢]، وقوله:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾ [النساء: ٨٢].

وأما من في قلبه زيغ، فيتخذ من المتشابه سبيلاً إلى تحريف المحكم واتباع الهوى في التشكيك في الأخبار والاستكبار عن الأحكام، ولهذا تجد كثيراً من المنحرفين في العقائد والأعمال يحتجون على انحرافهم بهذه الآيات المتشابهة (العثيمين، ١٤٢٣هـ ،ج١، ص٥١. (المقدمة).)

د- معرفة الشبهة قبل الرد عليها:

من معالم منهج الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: تبين شبهة المخالف على الوجه قبل تناولها بالرد، يقول عن هذا المعلم: "أهل الباطل يحاجون في الحق لإبطاله؛ ولكن حججهم باطلة.

ويتفرع على هذه الفائدة: أنه ينبغي للإنسان أن يعرف شبه المخالفين التي يدعونها حججاً لِيَنْقَضَّ عليهم منها، فيبطلها؛ قال الله تعالى:﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٨]". (العثيمين، ١٤٢٣هـ ج٢، ص١٥٨.)

ويقول في موضع آخر: "ثم هم يصوغون هذه الشّبهات بعبارات مزخرفة طويلة غريبة يحسبها الجاهل بها حقًّا بما كسيته من زخارف القول، فإذا حقق الأمر تبين له أنها شبهات باطلة، كما قيل: حجج تهافت كالزجاج تخالها... حقًّا وكل كاسر مكسور (العثيمين، ١٤٢٤هـ ، ص٩.).

"فمن الخطأ البيّن العجلة في مثل هذه الأمور، فعدم الفهم بشكل صحيح قد يقوّي الشبهة ويُضعف حجة الرادِّ عليها وموقفه؛ لأنَّ الجهدَ المبذولَ في الردِّ سيكونُ في مجالٍ والشبهةُ في مجالٍ آخر" (العتيق، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م، ص٥٧.).

هـ- الدعوة للتصدي للرد على الشبهات من المتمكنين:

يحث الشيخ على منازلة أهل الباطل في كل الميادين ومن ذلك الجانب العلمي ودحض شبهاتهم وأباطيلهم، ومن ذلك قوله: "إذا كان الإنسان عنده قدرة على دفع ما يلقى عليه من شبهات... فإذا كانت عنده قدرة فليذهب لعل الله ينفع به، وفي هذه الحال أرى ألا يباشر الناس بإنكار ما هم عليه" (العثيمين، ١٤٢١ هـ ، ١٧، ص٢١، بترقيم الشاملة آليا.).

بل ذهب الشيخ إلى ما هو أبعد من ذلك فأكد على طرح شبهات افتراضية وإن لم يعلم قائل بها من أجل قطع ما هو وارد من الشبهات وما يفترض وروده. فقال مجيبا على سؤال: هل يجوز للسائل إذا سأل العالم أن يورد عليه بعض الشبهات في العقيدة لأجل أن يعرف جوابها والردود عليها؟ الشيخ: سؤال مهم.

مثلاً إنسان قال: إن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، فسأله فقال: استوى على العرش أي: علا عليه عز وجل علواً يليق بجلاله وعظمته، اقتنع أن معنى: استوى على العرش يعني: علا على

العرش، ما هناك أي إشكال، لكنه أراد أن يورد الشبهات على الذي أفتاه خوفاً من أن أحداً من الناس يورد عليه هذه الشبهات فلا يعرف جوابها، أفهمتم؟ هذا صحيح، هذا طيب وجيد.

فمثلاً: لو قال له: استوى على العرش، فجاء إنسان وقال: لا، استوى على العرش، أي: استولى على العرش؛ لأن الاستواء على الشيء لا يكون إلا لجسم أو لكذا وأتى بشبهات؛ فهذا طيب، لأجل تقول لنا: استوى استواء يليق بجلاله، لست أقول: استوى على العرش كما يستوي الإنسان على السرير أو على الدابة, استواءً يليق بجلاله وانتهى وإذا أورد عليه شبهات أقول: هذه الشبهات مردودة عليه؛ لأن هذه الشبهات إنما تكون لو قلنا: بأن استواء الله على العرش كاستواء الإنسان على السرير أو على البعير أو على الفلك, أما إذا قلنا: استواء يليق بجلاله عز وجل, فهذا لا إشكال فيه، وهذا طيب.

أنا أيضاً أنصح كل طالب علم ليس عنده مادة قوية يستطيع أن يجادل بها: أن يورد ما يمكن من الشبهات على من هو أعلم منه من أجل أن يجيب عليه، ثم إني أيضاً أنصح العالم الذي عنده علم إذا أوردت عليه مثل هذه الشبهات – لأن بعض العلماء ربما إذا أورد عليه هذه الشبهات ربما يظن أن هذا السائل يريد أن يجادله، أنا أنصح أيضاً العلماء– أن تتسع صدورهم، ربما يكون هذا الذي أورد الشبهات أنها شبهات قد أوردت عليه من قبل فيريد أن يحلها، أو يخشى أن تورد عليك في المستقبل فيريد أن يعرف جوابها.

فالحاصل: أن هذا سؤال مهم وجيد، وأنا أوافق على أنه ينبغي أن نورد كل ما يمكن أن يكون شبهة سواء كانت وردت عليه من قبل أو يخشى عليه أن تورد في المستقبل.

وقد قال الإمام مالك رحمه الله: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة) وهذا هو الحق.(العثيمين، ١٤٢١هـ ، ١٠١، ص١٨، بترقيم الشاملة آليا.)

ولما تعرضت السنة النبوية مؤخرًا لهجمات متتالية من أجل إسقاطها أكد الشيخ على المحافظة عليها بدفع الشبهات عنها فقال: "فيجب على طالب العلم الجمع بينهما والحرص عليهما، وعلى طالب العلم حفظ السنة، إما بحفظ نصوص الأحاديث أو بدراسة أسانيدها ومتونها وتمييز الصحيح من الضعيف، وكذلك يكون حفظ السنة بالدفاع عنها والرد على شبهات أهل الباع في السنة" (العثيمين، ١٤١٣هـ ، ج٢٦، ص٦٧.).

ومن دواعي الرد على شبهاتهم جلد أهل الباطل في باطلهم كما قال: تفسير العثيمين: "ومنها: مبالغة أهل الباطل في ترويج باطلهم؛ لأنهم جعلوا المقيس هو المقيس عليه؛ لقولهم:﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ

مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وكان مقتضى الحال أن يقولوا: إنما الربا مثل البيع" (العثيمين، ١٤٢٣هـ ، ج٣، ص٣٧٦ – ٣٧٧.).

ويبين السبب في ذلك بقوله: "أهل الباطل يتشبثون بالشبهات؛ لأن قلوبهم زائغة والعياذ بالله، والعجب أنهم يتشبثون بالمتشابهات والمحكم يتركونه" (العثيمين، ١٤٢١هـ ، ١٨٤، ص٢٧، بترقيم الشاملة آليا.).

و– حشد الأدلة المتنوعة السمعية والعقلية:

جرت عادة الشيخ رحمه الله في رده الشبهات أن يحشد ما قدر عليه من الأدلة السمعية والعقلية، أو يشير إلى وجودها، فإن كان للفطرة مدخل في الاستدلال فإنه يشير إلى دلالتها أيضا، ومن ذلك مثلًا قوله في إثبات علو الله: "ومنها: إثبات علوّ الله عزّ وجلّ؛ لأنه إذا تقرر أن القرآن كلامه، وأنه منزل من عنده لزم من ذلك علوّ المتكلم به؛ وعلو الله عزّ وجلّ ثابت بالكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة؛ وتفاصيل هذه الأدلة في كتب العقائد؛ ولولا خوض أهل البدعة في ذلك ما احتيج إلى كبير عناء في إثباته؛ لأنه أمر فطري؛ ولكن علماء أهل السنة يضطرون إلى مثل هذا لدحض حجج أهل البدع".(العثيمين، ١٤٢٣هـ ، ج١، ص٨٣.)

ز– العناية بالجانب العقلي:

ربما كانت الشبهة عقلية وكان ردها بمقتضى الدلالة العقلية أبلغ في التأثير عند بعض الناس، ومن هنا فالشيخ كثيرًا ما يتم بالجانب العقلي في الرد لإسقاط ما يتعلق به الخصم من الشبه، والاستدلال بالعقل وارد في القرآن، ففي قول الله عز وجل: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾[البقرة: ١١٦] يقول رحمه الله في تفسيرها: "قوله تعالى: (كل له قانتون) أي كل له خاشع ذليل؛ لأنه مملوك؛ والله ـ تبارك وتعالى ـ هو المالك؛ وهذا من الاستدلال بالعقل على كذب دعوى هؤلاء أن له سبحانه وتعالى ولداً".(العثيمين، ١٤٢٣هـ ج٢، ص١٦.)

وسنكتفي بمثال على محاججة الشيخ بالعقل، وهو محاججته لمنكري صفة الرحمة، فقد قال: "والعجب أن منكري وصف الله بالرحمة الحقيقية بحجة أن العقل لا يدل عليها، أو أنه يحيلها، قد أثبتوا لله إرادة حقيقية بحجة عقلية أخفى من الحجة العقلية على رحمة الله، حيث قالوا: إن تخصيص بعض المخلوقات بما تتميز به يدل عقلاً على الإرادة؛ ولا شك أن هذا صحيح؛ ولكنه بالنسبة لدلالة آثار الرحمة عليها أخفى بكثير؛ لأنه لا يتفطن له إلا

أهل النباهة؛ وأما آثار الرحمة فيعرفه حتى العوام، فإنك لو سألت عامياً صباح ليلة المطر: "بِمَ مطرنا؟ "، لقال: "بفضل الله، ورحمته".(العثيمين، ١٤٢٣هـ ، ج١، ص٦ – ٧.)

ح – وضع القيود التي تفوت إيراد الشبهات:

يقول في زيادة قيد: "وقولنا: (فيما يختص به) حتى نسلم من شبهات كثيرة، منها شبهات النافين للصفات؛ لأن النافين للصفات زعموا أن إثبات الصفات إشراك بالله عز وجل، حيث قالوا؛ يلزم من ذلك التمثيل، لكننا نقول: للخالق صفات تختص به، وللمخلوق صفات تختص به" (العثيمين، ١٤١٣هـ ، ج٩، ص٥٦).

ومن الأمثلة وضع القيد (حق) في تفسير لا إله إلا الله (العثيمين، ١٤٢٣هـ ،ج٢، ص٢٠٦ – ٢٠٧.).

ط – مراعاة أصناف أصحاب الشبهات وأحوالهم:

من فقه الرد على الشبهات: النظر في الدواعي والمبررات، ومعرفة أهل الشبهات ومقاصدهم، فإن صدرت الشبهة عن جاهل لزم الأمر تعليماً ورداً علمياً سليماً، أما إن صدرت عن حاقد كافر لزم الأمر تقريعًا وتأديباً، حتى لا يصير الدين مطيَّة لأهل الكفر والفجور، وقد روى اللالكائي بسنده (أن رجلا من بني تميم يقال له صبيغ بن عسل، قدم المدينة وكانت عنده كتب، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فبلغ ذلك عمر، فبعث إليه وقد أعدّ له عراجين النخل، فلما دخل على المجلس قال من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ، قال عمر: وأنا عبد الله عمر، وأومأ عليه فجعل يضربه بتلك العراجين، فما زال يضربه حتى شجّه وجعل الدم يسيل عن وجهه حتى قال: حسبك يا أمير المؤمنين، فقد والله ذهب الذي أجد في رأسي (يعني من الوساوس والشبهات) (اللالكائي، ١٤٢٣ هـ ، ج٤، ص٧٠٣.).

ومن الأمثلة اختلاف أحوال الخارجين على الحاكم الظالم يقول: "المهم أنهم إذا ذكروا ظلمًا يجب عليه إزالته، إذا ذكروا شبهات اعترضت لهم يجب عليه أن يبينها لهم حتى يُهدئ الأمور، ثم إن اقتنعوا بذلك ورجعوا، وإلا وجب عليه أن يقاتلهم، ووجب على رعيته أن يقوموا معه على هؤلاء؛ لأنه تبين الآن أن هؤلاء ليس غرضهم الحق بعد ما تبين أنه التزم بإزالة الظلم، وكشف الشبهات وبيان الحق، ثم أصروا على ما هم عليه تبين أنهم ظلمة، والظالم يجب أن يمنع من ظلمه؛ ولهذا قال العلماء: يجب عليه في هذا الحال أن يقاتلهم، ويجب على رعيته مساعدته في قتالهم إزالة لهذا المنكر العظيم، فصارت المعاملة الآن يراسلهم يعني يبعث إليهم الرسل لأجل أن يسألهم ماذا ينقمون عليه إذا ذكروا مظلمة وجب عليه ردها.

إذا ذكروا شبهات وجب عليه كشفها، إذا ذكروا جورًا وجب عليه الاستقامة والعدل، فإن لم يذكروا شيئًا، أو ذكروا شيئًا من هذه الأمور التزمت أو فعلًا أزاله وأصروا على القتال وجب عليه أن يقاتلهم، ووجب على رعيته مساعدتهم حتى يكسروا شوكتهم" (العثيمين، الشرح الصوتي لزاد المستقنع، ج٢، ص٣٧٣٨.).

ويقول عن أصناف المنافقين: "الإنسان إذا لم يكن له إقبال على الحق، وكان قلبه مريضاً فإنه يعاقب بزيادة المرض؛ لقوله تعالى:﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة: ١٠]، وهذا المرض الذي في قلوب المنافقين: شبهات، وشهوات؛ فمنهم من علم الحق، لكن لم يُرِده؛ ومنهم من اشتبه عليه؛ وقد قال الله تعالى في سورة النساء:قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٣٧]، وقال تعالى في سورة المنافقين:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون: ٣]".(العثيمين، ١٤٢٣هـ ، ج١، ص٤٤.)

ومن أحوال أهل الشبهات والجدل أنه قد تلجئه المناظرة إلى أن يلتزم ما لا يلتزمه أصلًا، وعن هذا النوع يقول الشيخ: تفسير العثيمين: "الإنسان المجادل قد يكابر فيدعي ما يعلم يقيناً أنه لا يملكه؛ لقول الرجل الطاغية:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[البقرة: ٢٥٨]، ومعلوم أن هذا إنما قاله في مضايقة المحاجة؛ والإنسان في مضايقة المحاجة ربما يلتزم أشياء هو نفسه لو رجع إلى نفسه لعلم أنها غير صحيحة؛ لكن ضيق المناظرة أوجب له أن يقول هذا إنكاراً، أو إثباتاً".(العثيمين، ١٤٢٣هـ ، ج٣، ص٢٨٣.)

"فلا يستوي من التبس عليه الأمرُ وظنَّ الباطلَ حقاً مع من قصدَ التلبيسَ على النَّاسِ، فالأولُ مخدوعٌ مسكين، والآخرُ من جنسِ الشَّياطين، والتسويةُ في الردِّ بين الاثنينِ في الأسلوب والطريقة من جهل الجاهلين" (العتيق، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م ، ص٥٧.).

ومن هنا كانت الشبهة مانعة من إطلاق الحكم بالتكفير على صاحبها، ومن الأمثلة التطبيقية عند الشيخ لها الفتوى الآتية:

"بماذا نحكم على من أنكر المعراج أو أوّل في تفسيره له؟

فأجاب رحمه الله تعالى: نحكم على من أنكر المعراج: بأنه إن كان قد تبين له الحق وعلم ما جاء به من النصوص من السنة الصريحة ومن ظاهر القرآن الكريم فإنه يكون بذلك كافراً؛ لأنه يكون مكذباً لله ورسوله. وإن كان لديه شبهات في هذا الأمر فإنه يجب أن ترفع عنه الشبهة حتى يتبين له الحق، ثم إذا أصر بعد زوال الشبهة حكم بكفره أيضاً؛ لأن المعراج حق ثابت أشار الله تعالى إليه في قوله وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ١٨ [النجم: ١-١٨] (العثيمين، فتاوى نور على الدرب، ج٤، ص٢ — ٣، بترقيم الشاملة آليا.).

ومن إعذاره بالشبهة قوله وقد سئل بالسؤال الآتي:

س: الأمراض تنقسم إلى قسمين: مرض شبهات ومرض شهوات، هل الشبهات تدخل في الشهوات بهذا الحديث: «وحفت النار بالشهوات» (النيسابوري، ١٩٩٨م ، الحديث رقم ٢٨٢٢، ص٢١٧٤). ؟

ج: لا، الشبهات قد يكون الإنسان معذوراً فيها لعدم علمه، لكن الشهوة لا تكون إلا مع العلم فالشبهة قد يُعفى عنها (النيسابوري، ١٩٩٨م ، الحديث رقم ٢٨٢٢، ص٢١٧٤).

المطلب الثاني: نماذج من ردود العلامة ابن عثيمين على الشبهات:

سبق في المطلب الثاني الإشارة إلى أنواع الشبهات التي رد عليها ابن عثيمين، ولكثرتها سنكتفي بإيراد نماذج مختلفة منها، فمن ذلك ما يأتي:

١- رده على منكري الأفعال الاختيارية لله. يقول في إجمال صورتها: "إثبات الأفعال الاختيارية لله عزّ وجلّ؛ وهي كل فعل يتعلق بمشيئته، مثل النزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين عباده؛ والاستواء على العرش؛

والضحك؛ والكلام؛ والتعجب؛ وما إلى ذلك؛ كل فعل يتعلق بمشيئة الله عزّ وجلّ فإنه من الأفعال الاختيارية" (العثيمين، ١٤٢٣هـ ،ج٢، ص١٩٢).

ويقول عن الخلاف فيها: "إثبات الأفعال الاختيارية لله – أي أنه يحدث من أفعاله ما شاء–؛ لقوله تعالى هَلْ يَنْظُرُوْنَ اِلَّآ اَنْ يَّأْتِيَهُمُ اللّٰهُ فِيْ ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلٰۤىِٕكَةُ وَقُضِيَ الْاَمْرُۗ وَاِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْاُمُوْرُ[البقرة: ٢١٠]، وهذا مذهب السلف الصالح خلافاً لأهل التحريف والتعطيل الذين ينكرون هذا النوع، ويحرفونه إلى معان قديمة لمنعهم قيام الأفعال الاختيارية بالله عزّ وجلّ؛ ومذهبهم باطل بالسمع، والعقل؛ فالنصوص المثبتة لذلك لا تكاد تحصى؛ والعقل يقتضي كمال من يفعل ما يشاء متى شاء، وكيف شاء" (العثيمين، ١٤٢٣هـ ، ج٣، ص١٧).

ويقول في الرد عليهم: "ومنها: إثبات الأفعال الاختيارية لله عز وجل؛ لقوله تعالى اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِيْ حَاۤجَّ اِبْرٰهٖمَ فِيْ رَبِّهٖٓ اَنْ اٰتٰىهُ اللّٰهُ الْمُلْكَۘ اِذْ قَالَ اِبْرٰهٖمُ رَبِّيَ الَّذِيْ يُحْيٖ وَيُمِيْتُۙ قَالَ اَنَا اُحْيٖ وَاُمِيْتُۗ قَالَ اِبْرٰهٖمُ فَاِنَّ اللّٰهَ يَأْتِيْ بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِيْ كَفَرَۗ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظّٰلِمِيْنَۚ [البقرة: ٢٥٨]، وهذه المسألة أنكرها كثير من علماء الكلام؛ وعللوا ذلك بعلل عليلة؛ بل ميتة لا أصل لها؛ لأنهم قالوا: إن الحوادث لا تقوم إلا بحادث؛ وإن الحوادث إن كانت كمالاً كان فقدها نقصاً؛ وإن كانت نقصاً فكيف يتصف الله بها! إذاً هي ممتنعة؛ لأنها نقص على كل تقدير؛ وحينئذٍ يجب أن ننزه الله عنها، وأن تكون ممتنعة عليه؛ والجواب عن ذلك أن قولكم: (الحوادث لا تقوم إلا بحادث) مجرد دعوى؛ ونحن نعلم أن الحوادث تحدث منا، ولكنها ليست سابقة بسبقنا؛ ولا يعد ذلك فينا نقصاً؛ فالحوادث تحدث بعد مَن أحدثها؛ ولا مانع من ذلك؛ فمن الممكن أن يكون المتصف بها قديماً وهي حادثة؛ وأما قولكم: (إنها إن كانت كمالاً كان فقدها نقصاً؛ وإن كانت نقصاً فكيف يوصف بها)؟ فنقول: هي كمال حال وجودها؛ فإذا اقتضت الحكمة وجودها كان وجودها هو الكمال؛ وإذا اقتضت الحكمة عدمها كان عدمها هو الكمال" (العثيمين، ١٤٢٣هـ ج٣، ص٢٨٢).

٢- ومن المسائل التي أفاض الشيخ في مناقشتها والرد على المخالفين فيها مسألة إضافة العمل إلى الإنسان، يقول عن فوائد قول الله عز وجل ثُمَّ قَسَتْ قُلُوْبُكُمْ مِّنْۢ بَعْدِ ذٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ اَوْ اَشَدُّ قَسْوَةًۗ وَاِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْاَنْهٰرُۗ وَاِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاۤءُۗ وَاِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِۗ وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ [البقرة: ٧٤]: "ومنها: إضافة العمل إلى الإنسان، فيكون فيه رد على الجبرية؛ لقوله تعالى: (عما تعملون)؛ ولا شك أن الإنسان يضاف إليه عمله؛ وعمله: كسبه – إن كان في الخير – واكتسابه – إن كان في الشر – كما قال تعالى لَا يُكَلِّفُ

اللّٰهُ نَفْسًا اِلَّا وُسْعَهَاۗ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ اِنْ نَّسِيْنَآ اَوْ اَخْطَاْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ اِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهٗ عَلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهٖۚ وَاعْفُ عَنَّاۗ وَاغْفِرْ لَنَاۗ وَارْحَمْنَاۗ اَنْتَ مَوْلٰىنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكٰفِرِيْنَ ع [البقرة: ٢٨٦].

والناس في هذه المسألة ـ أعني مسألة أعمال العباد ـ ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من يرون أن الإنسان مجبر على العمل؛ لا يفعل شيئاً باختيار أبداً؛ وما فعله الاختياري إلا كفِعله الاضطراري: فمن نزل من السطح على الدرج درجة درجة هو كمن سقط بدون علمه من أعلى السطح؛ وهذا مذهب الجبرية من الجهمية؛ وهو مذهب باطل ترده الأدلة السمعية، والعقلية.

القسم الثاني: من يرون أن الإنسان مستقل بعمله، وأن الله سبحانه وتعالى لا يصرِّف العبد إطلاقاً؛ فالعبد له الحرية الكاملة في عمله، ولا تعلق لمشيئة الله به، ولا تعلق لتقدير الله، وخلقه بعمل الإنسان، وهذا مذهب المعتزلة القدرية؛ وهو مذهب باطل للأدلة السمعية، والعقلية.

هذا القول الوسط هو الذي تجتمع فيه الأدلة جميعاً؛ لأن الذين قالوا: (إن الإنسان مجبر) أخذوا بدليل واحد، وأطلقوا من أيديهم الدليل الآخر؛ والذين قالوا: (إنه مستقل) أخذوا بدليل واحد، وأطلقوا الدليل الثاني من أيديهم؛ لكن أهل السنة، والجماعة ـ والحمد لله ـ أخذوا بأيديهم بالدليلين؛ وقالوا: الإنسان يفعل باختياره؛ ولكن تصرفه تحت مشيئة الله عزّ وجلّ؛ ولهذا إذا وقع الأمر بغير اختياره رُفع عنه حكمه: فالنائم لا حكم لفعله، ولا لقوله؛ والمكره على الشيء لا حكم لفعله، ولا لقوله؛ بل أبلغ من ذلك: الجاهل بالشيء لا حكم لفعله مع أنه قد قصد الفعل؛ لكنه لجهله يعفى عنه؛ كل ذلك يدل على أن الله سبحانه وتعالى رحيم بعباده (العثيمين، ١٤٢٣هـ ج٢، ص١٥٢ – ١٥٣، ج٢، ص٣١١).

٣- ومن رده على الفلاسفة قوله عن فوائد قول الله عز وجل اِنَّ فِيْ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَاخْتِلَافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِيْ تَجْرِيْ فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَآ اَنْزَلَ اللّٰهُ مِنَ السَّمَاۤءِ مِنْ مَّاۤءٍ فَاَحْيَا بِهِ الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيْهَا مِنْ كُلِّ دَاۤبَّةٍ ۖ وَّتَصْرِيْفِ الرِّيٰحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاۤءِ وَالْاَرْضِ لَاٰيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَّعْقِلُوْنَ﴾[البقرة: ١٦٤]: أن السماوات مخلوقة؛ فهي إذاً كانت معدومة من قبل؛ فليست أزلية.

ويتفرع على هذه الفائدة الرد على الفلاسفة الذين يقولون بقدم الأفلاك ـ يعنون أنها غير مخلوقة، وأنها أزلية أبدية؛ ولهذا أنكروا انشقاق القمر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وقالوا: إن الأفلاك العلوية لا تقبل التغيير، ولا العدم؛ وفسروا قوله تعالى: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾[القمر: ١] بأن المراد ظهور العلم، والنور برسالة

النبي صلى الله عليه وسلم؛ ولا شك أن هذا تحريف باطل مخالف للأحاديث المتواترة الصحيحة في انشقاق القمر انشقاقاً حسياً (العثيمين، ١٤٢٣هـ ، ج٢، ص ٢١٩).

٤- ومن ردوده على علماء الهيئة والمتكلفين في إثبات الإعجاز العلمي قوله عن فوائد قوله تعالى اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِيْ حَآجَّ اِبْرٰهٖمَ فِيْ رَبِّهٖٓ اَنْ اٰتٰىهُ اللّٰهُ الْمُلْكَ اِذْ قَالَ اِبْرٰهٖمُ رَبِّيَ الَّذِيْ يُحْيٖ وَيُمِيْتُۙ قَالَ اَنَا۠ اُحْيٖ وَاُمِيْتُۗ قَالَ اِبْرٰهٖمُ فَاِنَّ اللّٰهَ يَأْتِيْ بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِيْ كَفَرَۗ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظّٰلِمِيْنَۚ [البقرة: ٢٥٨]: "ومنها: الرد على علماء الهيئة الذين يقولون: إن إتيان الشمس ليس إتياناً لها بذاتها؛ ولكن الأرض تدور حتى تأتي هي على الشمس؛ ووجه الرد أن إبراهيم قال: (فإن الله يأتي بالشمس من المشرق)؛ إذاً الله أتى بها من المشرق؛ وهم يقولون: إن الله لم يأت بها من المشرق؛ ولكن الأرض بدورتها اطلعت عليها؛ ونحن نقول: إن الله لم يقل: إن الله يدير الأرض حتى تُرى الشمس من المشرق؛ فأدرها حتى تُرى من المغرب! ويجب علينا أن نأخذ في هذا الأمر بظاهر القرآن، وألا نلتفت لقول أحد" (العثيمين، ١٤٢٣هـ ، ج٣، ٢٨٣).

خلاصة البحث

في ختام هذا البحث، الذي تناول منهج الشيخ محمد بن صالح العثيمين- رحمه الله- في الرد على الشبهات من خلال تفسيره لسورة البتقرة، تبين أن الشيخ قد قدم نموذجا علميا متكاملا يجمع بين الفهم العميق للنصوص الشرعية، والقدرة على محاورة الشبهات والرد عليها بمنهجية رصينة،

لقد برز من خلال التحليل أن الشيخ اعتمد على منهج متوازن يجمع بين النقل والعقل،ويرتكز على أصول العقيدة الإسلامية، ويوظف اللغة والأدلة العقلية والنقلية في بيان الحق ودحض الباطل.

وقد كشفت الدراسة عن تنوع الأساليب التي استخدمها ابن عثيمين في الرد، مثل التفسير التحليلي، الربط بين الآيات، التعليق على الشبهات الواردة بالنص أو المتوقعة من المتلقي، بالإضافة إلى استخدامه الواضح للغة المنطق والبيان في توصيل الفكرة بشكل مقنع.

كما أظهرت الدراسة أن تفسير سورة البقرة كان مجالا واسعا لمعالجة كثير من الشبهات العقدية، خاصة تلك المتعلقة بالتوحيد والنفاق، وأهل الكتاب، وهي القضايا التي لا تزال تثار في السياقات الفكرية المعاصرة، مما يؤكد قيمة هذا المنهج.

وختاما: يوصي الباحث بضرورة إعادة إحياء مناهج العلماء الموثوقين في الرد على الشبهات، وتدريسها ضمن مقررات العقيدة والفكر الإسلامي، نظرا لما تحمله من مضامين علمية ومنهجية متينة، تسهم في تعزيز الوعي العقدي ومواجهة الانحرافات الفكرية المعاصرة.

المراجع

الإفريقي المصري، محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، (ط١، بيروت، دار صادر).

البخاري، محمد ابن إسماعيل، **صحيح البخاري**، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، (الرياض، دار بيت الأفكار الدولية للنشر، ١٩٩٨م).

التونسي، محمد الطاهر ابن عاشور، **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، (تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م).

الجرجاني، علي بن محمد الشريف، **التعريفات**، ضبطه وصححه: جماعة من العلماء، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ).

الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)**، (ط٤، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٠م).

الحراني، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، **درء تعارض العقل والنقل**، تحقيق: محمد رشاد سالم، (ط٢، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١١هـ).

الحموي الحنفي، شهاب الدين أبو العباس، ابن نجيم، **غمز عيون البصائر في شرح الشباه والنظائر**، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ).

الذهبي، محمد بن أحمد بن قايماز، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، (ط٣، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ).

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، **المنثور في القواعد**، (ط٢، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٠٥هـ).

السبكي، أحمد بن علي بن عبد الكافي، **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (ط١، بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤٢٣هـ).

السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، تحقيق: شعَيب الأرناؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، (ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ).

العتيق، جابر بن عبد الرحمن، **جهود الإمام الطاهر ابن عاشور في الرد على شبهات النصارى من خلال تفسيره التحرير**، (رسالة ماجستير، جامِعةُ المدِينَةُ العالميّة – ماليزيا، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م).

العثيمين، محمد بن صالح، **الشرح الصوتي لزاد المستقنع**، (هذا الكتاب تفريغ مكتوب لشرحين صوتيين للعلامة ابن عثيمين رحمه الله على زاد المستقنع).

العثيمين، محمد بن صالح، **الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين على الشبكة العنكبوتية**.

العثيمين، محمد بن صالح، **تفسير القرآن، (الحجرات – الحديد)**، (ط١، الرياض، دار الثريا للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ).

العثيمين، محمد بن صالح، **تفسير القرآن، (الفاتحة والبقرة)**، (ط١، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ).

العثيمين، محمد بن صالح، **زاد الداعية إلى الله (مطبوع ضمن كتاب الصيد الثمين في رسائل ابن عثيمين)**، (ط١، مكة المكرمة، دار الثقة للنشر والتوزيع، ١٤١٢ هـ).

العثيمين، محمد بن صالح، **شرح حلية طالب العلم**، (ط١، عنيزة، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ١٤٣٤هـ)

العثيمين، محمد بن صالح، **شرح العقيدة السفارينية – الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية**، (ط١، الرياض، دار الوطن للنشر، ١٤٢٦هـ).

العثيمين، محمد بن صالح، **فتاوى نور على الدرب**.

العثيمين، محمد بن صالح، **فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام**، تحقيق وتعليق: صبحي بن محمد رمضان، أم إسراء بنت عرفة بيومي، (ط١، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، ١٤٢٧هـ).

العثيمين، محمد بن صالح، **فتح رب البرية بتلخيص الحموية**، (الرياض، دار الوطن، ١٤٢١هـ).

العثيمين، محمد بن صالح، **شرح كتاب الرقاق من صحيح البخاري**، (القاهرة، المكتبة الإسلامية، ١٤٢٨هـ).

العثيمين، محمد بن صالح، **لقاء الباب المفتوح**، على الشاملة، (لقاءات كان يعقدها الشيخ بمنزله كل خميس، بدأت في أواخر شوال ١٤١٢هـ، وانتهت في الخميس ١٤ صفر، عام ١٤٢١هـ).

العثيمين، محمد بن صالح، **مجموع فتاوى ورسائل العثيمين**، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، (دار الوطن – دار الثريا، ١٤١٣هـ).

الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، (ط٨، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ).

الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، **الموسوعة الفقهية الكويتية**.

اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، (ط١، دار طيبة، السعودية، ١٤٢٣هـ).

المرضى الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، (الكويت، دار الهداية، ١٩٦٩م).

المعلمي اليماني، عبد الرحمن بن يحيى، **آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيي المعلمي اليماني**، اعتنى به: مجموعة من الباحثين، (ط١، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ١٤٣٤هـ).

النيسابوري، محمد بن الحجاج، **صحيح مسلم**، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، (الرياض، دار بيت الأفكار الدولية للنشر، ١٩٩٨م).

الهروي، أبو إسماعيل، **ذم الكلام وأهله**، تحقيق: أبي جابر عبد الله بن محمد بن عثمان الأنصاري، (ط١، مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٩هـ).